

نحن من حيفا ولسنا من الطنطورة • أربع نساء وثمانية عشر ولدا ، ماذا نستطيع ان نفعل اذا جاءوا • اخيرا اقتنعوا وسمحوا لنا بركوب المركب بعد ان كادت تحصل مصادمات في القرية • واقلع المركب باتجاه صور • كان البحر مظلاما • كانه لا وجود لشاطيء فلسطين • الاولاد يبكون ، دوار البحر ونحن فوق بعضنا ، ثم وصل المركب الى قرب شاطيء حيفا • انا لم انتبه الى حيفا • قال لي ابو عز الدين انظري ، هذه هي المدينة • نظرت ولم ار شيئا • كيف استطيع ان ارى • الاولاد في حضني وبين قدمي ، بعضهم يبكي وبعضهم يريد طعاما وبعضهم يريد ان ينام • وثلاث نساء الى جانبي يبكين على ازواجهن وعلى البلد وعلى هذه المصيبة • اما هو ، فكان يجلس وحيدا في طرف المركب ، يدخن سيكارتة التي يضمها بين يديه حتى لا يرى ابي ضوء في المركب ، وينظر الى البحر • فجأة اشتعلت ورأينا الاضواء تحيط بالمركب من كل ناحية • تشهدوا قال محمد سعيد • نتشهد ، يعني سوف نموت في البحر ، ما هذه المصيبة • نصيينا - اجابني • لكن لحسن الحظ كان المركب الذي سلبت اضواءه علينا ، مركبا انكليزيا • نزل جنديان الى مركبنا ، رأوا النساء والاطفال ، قالوا كلمات لم افهم معناها ، لكنهم اشاروا بأننا نستطيع متابعة السير • وسار المركب باتجاه صور • والله لم انظر الى حيفا كما نظر اليها الجميع • الذين غادروا في وقت مبكر روى انهم ظلوا ينظرون اليها والمركب يبتعد ، حتى تحولت الى حمامة سوداء تسبح في البحر • انا لم الاحظ لا الحمامة ولا غير الحمامة • كيف تريدين ان الاحظ • في التاسعة صباحا وصلنا الى صور • قلنا الحمد لله • ولكن فور نزولنا الى الشاطيء رأينا الطاولات وعليها الاوراق • يسألون الف سؤال قبل ان يسجلوا اسماءنا • سألت ما هذا ؟ قالوا تسجيل اللاجئين • محمد سعيد رفض • لن نتسجل قال • نحن لسنا لاجئين • بعد شهر على ابعث تقدير سوف نعرد السى حيفا • فلماذا نقف في الطوابير ونسجل اسماءنا • قلت نتسجل ، ماذا سنخسر • قال لا • بقينا على شاطيء صور وسط الاف الناس الذين جاءوا من شمالي فلسطين • كانت الناس تستلقي على الشاطيء ولا تعرف ماذا سيجري لها • ثم استأجر محمد سعيد غرفتين في صور حيث سكننا جميعا • بقينا هناك الى ان جاءنا خبر من سليم الشعار ، وهو احد اصدقاء زوجي ، بانه مستعد لاستقبالنا في دمشق • فذهبنا الى دمشق •

ايلى يقف في انتظار انجاز معاملات العودة على الحدود السورية - اللبنانية ، ويحدثني عن مصارعة الثيران • قلت له اني لا اعرف كثيرا حول الموضوع ، لكني معجب بشخصية المصارع • لقد رسمها بيكاسو بشكل مدهش الحبر الصيني والحركة التي تتجمد عند لحظة تشبه العناق بين المصارع والثور • قال لا • المصارعة شيء اخر واكثر حدة • قال انه شاهد الكثير من حفلات المصارعة في اسبانيا ، لكن المدهش هو ما لا تشاهده • هل تعلم لا يستطيع الثور ان يناطح الا في مكان محدد من الحلبة • يركض في الحلبة